• قتل الأبرياء تحت ذريعة العمالة والتجسس

عشرات العراقيين يموتون يومياً دون ذنب، والجناة يدعون الجهاد والوطنية ويتفاخرون بعدد القتلى...

يومياً تتناقل وسائل الإعلام جرائم قتل غادرة تطال الناس الأبرياء من جهات يقال أنها مجهولة لكن الأهالي يعرفونهم جيداً.

فالقتلة يتخذون ذريعة اتهام المجني عليهم بالعمالة والجاسوسية ولا نعرف لمن هذه العمالة، وبالأساس القتلة أنفسهم يتقاضون أموالاً من جهات خارجية لقتل أبناء جلدتهم، والعجب أنهم يستلمون ثمن جرائمهم بالعملة الأجنبية ويتناسون أنهم غارقون إلى أخمص القدم في عمالتهم وخستهم بقتل الناس الأبرياء الذين لا ذنب لهم سوى أنهم يكسبون لقمة عيشهم بعرق جبينهم، سواء أكانوا يعملون كمترجمين أم صحفيين أم يعملون في مجال التدريس والطب وغيرها من المهن الشريفة الأخرى.

وأحياناً يقتل عامل البناء في مطار «المثنى» أو «المنطقة الخضراء» أو أي منطقة تتواجد فيها القوات الأمريكية وكأن البحث عن لقمة العيش صار عند هؤلاء القتلة من الجرائم الكبرى.

إن عمليات الاغتيال هذه أصبحت اليوم هاجس المواطن العراقي الباحث عن لقمة العيش والخائف من دعاة الوطنية والجهاد تحت ذرائع وحجج جديدة وشعاراتية كاذبة.

شهداء العمل الشريف....

«علي علب الحسين» أخ الشهيد «مهند» والذي قتل قبل شهرين يقول: أخي كان يعمل بصفة عامل بناء في «مطار المثنى» رغم أنه يحمل شهادة البكالوريوس في الإدارة والاقتصاد كونه بقي عاطلاً عن العمل منذ التحرير وحتى حصل على هذه الفرصة التي أنقذته من البطالة، وفي إحدى المرات وهو عائد من العمل بصحبة زملائه استهدفتهم

مجموعة عراقية معروفة لنا ولباقي الأهالي وقتلتهم جميعاً قرب (كراج العلاوي) وفقدناه من دون أن يكون له أي ذنب، متهمينه (بالجاسوسية).

أما «محمد مولى» الأخ الأصغر للشهيد «حامد» الذي كان يعمل مترجماً مع القوات الأمريكية يقول: «قتلوا أخي أمام بيتنا بتهمة العمالة وهو أبعد الناس عن هذه التهمة الباطلة وغير المستندة على أدلة، فالعمل عبادة وشرف وأخي كان يعمل بشرف ولم يؤذِ أحداً وهو معروف بأخلاقه العالية في منطقتنا' لذا أقول لقتلته انتظروا مصيركم في جهنم وسيكون مثواه الجنة لأنه شهيد العمل الشريف».

الانتماء لحزب سياسي يعتبر عمالة...

الشاب نعيم ذو الواحد والعشرين ربيعاً ارتأى الخوض في العمل السياسي لمعرفته بمواهبه التي تؤهله للدخول في هذا الغمار، فقرر الانتماء إلى حزب الوفاق الوطني العراقي، ولم يكن يعلم أن قراره هذا سيكون سبباً لموته على أيدي مجموعة مسلحة في مدينة سكناه «الثورة» والذين وضعوا على جثمانه ورقة مكتوب فيها (جاسوس)، يقول كريم (الفيتر) الأخ الأكبر للشهيد: «لم يعمل أخي أي شيء ولم يؤذ أحداً، كل ذنبه هو أنه انتمى لحزب سياسي لا يوافق رغبات البعض هنا، وهو مجرد عضو بسيط وجديد في هذا الحزب، ومع كل الأسف فإن مجتمعنا يفكر برجعية خطيرة تصل إلى تحريم العمل السياسي وتقتل من يدخل فيه حتى تستفيد القوى الظلامية من إبعاد الناس عنه والبقاء جاثمة على صدورهم بحجج ومسميات واهية كالدين والجهاد وطرد المحتل».

المجلس البلدي (عميل) أيضاً..

قصص كثيرة لشهداء العراق الجديد من بينها قصة عضو المجلس البلدي في الدورة والذي رمي على قارعة الطريق بعد أن خطف ومُثل بجثته، رغم ما قدمه من خدمات جليلة خلال فترة قصيرة لأبناء حيه السكني، يتحدث عنه جاره أبو محمد قائلاً: «لم يدخل الشهيد إلى المجلس البلدي إلا من أجل خدمة أبناء الحي وساهم فعلاً بإنشاء منتزه

للأطفال بعد مدة قصيرة من انتهاء الحرب وكان نبأ مقتله من أسوأ الأخبار التي سمع بها أهالي الحي الذين فقدوه وفقدوا معه مواطناً شريفاً يعمل لخدمة وطنه دون مصالحه الخاصة».

وعضو الحرس الوطني محمد ابن الثمانية عشر عاماً أيضاً قتل على أيدي أفراد أخذوه من بيته وأرجعوه بعد يوم جثة هامدة موشوم عليها العبارة الشهيرة (جاسوس)، يقول الأستاذ في علم الاجتماع مروان التميمي: «قتل الأبرياء بتهم يختارها أناس يصنعون من أنفسهم قضاة وجلادين تجاوز على شريعة السماء واستهتار بحقوق الناس، فمن ذا الذي عينهم قضاة يحاكمون الناس ويقتلونهم متى شاءوا تحت ذرائع واهية؟».

الجهاد ضد أبناء الوطن..

كل المجاهدين ضد أبناء العراق قتلة والجهاد منهم براء وما جهادهم إلا إرهاب للشعب، بهذه الكلمات ابتدأ الطبيب عدنان الأسدي واستمر يقول: «الجهاد كما هو معروف للقاصي والداني لا يحصل إلا بفتوى من إمام أو مرجع كبير وله قوانينه وشروطه الدقيقة فهو ليس بالمصطلح الذي يطلق من أي كان، وعليه أرى أن هؤلاء القتلة يتسترون بالدين لممارسة أفعالهم الدنيئة حتى وإن كانوا متدينين فعلاً أو حاملين للحى كثة تخفي خلفها عشرات الذنوب للتسبب في قتل النفس التي حرم الله».

ولا ندري من أين جاء هؤلاء القتلة بأفكارهم الإجرامية؟

أي شرع وأي دين وأي قانون يسمح ذبح الإنسان لأخيه الإنسان والتمثيل بجثته وتقطيعها وبعثرتها على قارعة الطرقات؟.

فكل الأديان السماوية تدين هذه الأعمال الإجرامية بل وتشدد بالعقوبة على مرتكبيها إلى الدرجة التي تبعد عنهم الرحمة، وفي النهاية يبقى السؤال نفسه: إلى متى يبقى المجاهدون يستهدفوننا؟ وهل ستنقلب المعادلة في يوم من الأيام ونخرج من دائرة القتل أم أن الكي آخر العلاج؟!

ما لم يشهده التاريخ من قبل: الإرهابيون يذبحون الأطفال باسم الجهاد

لا أظن أن ما يمر على الشعب العراقي من أهوال الظلم والقهر قد مرت مآسيه على أي شعب من شعوب العالم عبر التاريخ.

بل ولم يشهد العراقيون أنفسهم زمناً قاسياً منذ سقوط بغداد على يد هولاكو المغولي عام 1258م مثلما يعيشونه اليوم في ظل المرحلة الآنية.

كلنا نعلم أن التاريخ البشري يجمع أبشع الصور لجرائم إبادة ضد الإنسانية ولكن لا يمكن لنا أن نتصور أن ما يحصل في العراق في ظل الانفلات الأمني قد مرت بشاعته على التاريخ من قبل.

أطفال أبرياء يذبحون وتقطع أجسادهم الغضة إلى قطع صغيرة بمنتهى الوحشية.. وآخرون يُفجرون بأحزمة ناسفة تتناثر أجسادهم الصغيرة عبر الهواء إلى أشلاء أشلاء..

كل يوم يخطف طفل أو طفلان أو ثلاثة..

كل يوم يُقتل عشرات الأطفال...

يتم العثور على أجسادهم المقطعة في أكياس القمامة مرمية على قارعة الطرقات أو حاويات الزبالة.

بالأمس شهدت مدينة «بعقوبة» حادثة غريبة كنا نظن أنها مجرد جريمة.. إلا أن الناس قالوا إنها أبشع جريمة..

تملكنا الفضول الصحفي والإنساني.. لنرى ما مدى تلك الجريمة.. على الرغم من أننا مسبقاً ندرك مقدار العنف اليومي الذي تشهده مدن العراق وأن نزف الدم لا زال يتدفق وأن مسلسل الرعب والقتل اليومي ما زال مشهده مستمراً.. ولكننا تصرفنا وفقاً لطبيعتنا البشرية، ماذا يمكن أن تكون تلك الجريمة والعراق يشهد يومياً مئات الجرائم؟

اقتربت منا امرأة تبدو عليها علامات اليأس والحزن.. وقد تركت الدموع آثاراً على خديها.. أيها الصحفي، هنا على هذه الأرض قد ذبحوا طفلاً عراقياً في الخامسة من عمره.. كان جميلاً اسمه حيدر، ذبحه الإرهابيون بلا رحمة.. لا ذنب له سوى اسمه: حيدر.

أدركت بفطنتي سريعاً السبب دون أن أذكره للمرأة المسكينة.

(إنها لعنة الحرب الطائفية)، هنا ذبح طفل اسمه حيدر وهناك طفل آخر في بغداد ذبح لأن اسمه عمر، وآخر أجهل اسمه كان عمره ثلاث سنوات اختطف قبل عدة أيام ولم يستطع أهله دفع فديته فوجدوه في دائرة الطب العدلي على (صينية طعام) مشوي مثلما تشوى الدجاجة.

بادرنا إلى سؤال المعاون الطبي المسؤول عن تسجيل أسماء الضحايا.. فقال لنا: لو سردت لكم قصص البعض من هؤلاء الملقين في ثلاجات الطب العدلي لأصابكم الفزع.

فقلت له: هل هناك أعداد كثيرة من الأطفال بين الضحايا؟

فأجابني: لا أستطيع أن أعدهم فالضحايا كثيرون.. أطفال ورجال ونساء، غالبيتهم قد تم تعذيبهم قبل أن تطلق عليهم رصاصات الإعدام.

وفي الحقيقة الكثير من الضحايا مشوهون نتيجة تعرضهم للحرق أو مقطعين إلى أجزاء عدة وفي أحيان أخرى بلا رؤوس.

سبحان الله... حتى الأطفال لم ينجوا من ويلات الفتنة المقيتة ويدفعون ثمن أخطاء الكبار، كم هو صعب أن ترى طفلاً مسكيناً مقطوع الرأس وجسده الطري مليئاً بآثار التعذيب، فأطفال الطرق يعذبون ليتنازلوا عن أسمائهم أو يقروا على آبائهم.

التفتّ صوب المرأة التي حدثتني فعرفت أنها والدة الطفل المذبوح وقد أصيبت بانهيار عصبي وهي تنظر إلى ولدها المسكين مفصول الرأس عن الجسد ومضرجاً بدمائه.

وما إن حاولنا أن نستريح لنعرف بعض التفاصيل عن هذا الطفل المسكين حتى فوجئنا بخبر جديد حول حادثة أخرى، هذه المرة لطفلة مسكينة في الرابعة من عمرها قد اختطفت من أمام منزلها في أحد ضواحي «بعقوبة» أيضاً.. طفلة بريئة بعمر الزهور لا

زالت لا تعرف ألف باء الحياة، وجدت هي الأخرى ميتة بطريقة أكثر بشاعة من الحادثة التي حصلت لحيدر، فقد تم اغتصابها من قبل ملثمون من العصابات الإرهابية المسلحة وتركت تنزف إلى أن فارقت الحياة.

يا للخجل والعار.. هؤلاء الحثالة يعتدون ويغتصبون ويقتلون ويطلقون على أنفسهم تسمية المجاهدين..

أي جهاد هذا الذي يسمح بذبح واغتصاب الأطفال؟ أية مقاومة تحت ستارها يقطع رؤوس الأبرياء؟ أية وطنية ساقطة التي يدعونها وهم يخربون الوطن ويدمرون كل شيء جميل فيه؟.

إن من يقوم بتلك الأفعال المشينة البشعة لا يمكن أن يكون إنساناً سوياً يملك الشرف والمبادىء والكرامة.

فمن تسقط عنه حصانة الشرف والكرامة تسقط عنه إنسانيته.

ثم يسرد لنا هذا المعاون الطبي الذي سألناه عما يشاهده من جرائم بحق الناس الأبرياء كي نستطيع أن ننقل ما يحصل للناس لكل العالم ونكشف زيف الادعاءات الكاذبة التي يتبجح بها الإرهابيون وهم يقتلون الناس بلا ذنب.

مشاهد مروعة أخرى كذبح العديد من الشبان بواسطة آلة تسمى (الكوسرة) فضلاً عن وجود جثث أخرى قد تم ملؤها بالثقوب بواسطة آلة (الدريل) إلا أن ما أثار اشمئزازنا حقاً قيام هؤلاء الإرهابيين بقطع رؤوس ضحاياهم ووضع رؤوس الكلاب بدلاً عنها، وفي الحقيقة أن تلك الأعمال الإجرامية لم تحدث في أية حرب أهلية أو إقليمية ولم يشهد مثيلها في أي بلد من بلدان العالم مهما كانت ثقافة الموت منتشرة فيها.

ناهيك عن قصص حقيقية أخرى قد تفوق مستوى العقل لتصل إلى درجة الخيال المطلق، فكيف يتمكن إنسان أن يقوم بإخراج كامل أحشاء بطن إنسان آخر ثم يملئه بالديناميت يفجره على الآخرين، وكان قبل ذاك قد جربوا تفخيخ الحيوانات وتفجيرها، ومن المظاهر الإجرامية الجديدة التي لجأ إليها الإرهابيون هذه الأيام تقطيع أجسام الضحايا إلى قطع صغيرة بواسطة سيف حاد إضافة إلى الحرق ورمي هذه الضحايا في

مواقع جمع الأزبال لتأكلها الكلاب السائبة في شوارع بغداد، هذه هي الحقيقة المُرة المؤلمة المدمية للقلوب التي يعيشها شعب العراق في ظل أعتى موجة إرهابية عالمية يتعرض لها في هذا العصر.

أطفال العراق الذين كانوا بالأمس يجوبون الطرقات والحدائق بحثاً عن تسلية، عن لعبة جديدة وضحكات بريئة تملأ آفاق الأرض والسماء، يلعبون الكرة هنا، وهناك يرسمون للحرية وللمستقبل لمباركة الحوار مع أطفال العالم ويحلقون طائراتهم الورقية في السماء وينشدون معها أحلى الأغنيات..

وشواطئ دجلة تحتضنهم وعلى رمالهم يلعبون ويمرحون وهم يغنون أناشيد الفرح والأمنيات.

كم كانت حياتهم جميلة وبريئة.. حتى أصبحت اليوم ذكريات..

فقد أصبح أطفال العراق اليوم يخشون أرصفة الشوارع التي تخبىء العبوات، أو السير في الطرقات خوفاً من سيارات مفخخة مخبأة أو من رجال العصابات، حتى باتت الشوارع بلا أطفال... العراق كئيبة لا روح فيها ولا حياة، حتى رجل المرور الذي كان يساعدهم للعبور من الشوارع بات مختبئاً وراء جدار كونكريتي خوفاً من رصاصات الغدر أو انفجار السيارات.

بغداد السلام.. كانت تفوح منها رائحة الياسمين والجوري والقرنفل والأطفال يتراكضون فيها فرحين يملؤهم الأمل والنشاط بملابس زاهية، تفوح منها اليوم رائحة الموت والجثث المحترقة أو أجساد مغدورة متعفنة.

أزقة أصبحت مغلقة بوجه الطفولة..

شوارع لا تؤدي إلى طريق.. حتى الصغار أخذوا يجمعون الحجارة والإطارات القديمة وجذوع النخيل ليقطعوا بها حاراتهم عن بقية الشوارع والأزقة الأخرى خوفاً من تسلل الإرهابيين القتلة بسيارات الموت المفاجىء ليصبح اللعب ممنوعاً للأطفال خوفاً من شبح الموت الذي يطوف في كل مكان في أرض العراق.

أطفالنا كانوا سعداء.. يغنون أناشيد الفرح.. وتطربهم الأغنيات.. يدندنون أغاني كاظم الساهر وهيثم يوسف ويرقصون على أحلى النغمات، واليوم يقضون يومهم المليء بالخوف والقلق وسماع عزف الإطلاقات والانفجارات.

غريب أمر هذه البلاد.. كيف ماتت فيها الطفولة؟ كيف استطاع الغرباء الإرهابيون أن يعيثوا بأحلام الناس قتلاً وتدميراً؟

ننظر اليوم من شرفات البيوت ومن وراء الأبواب ومن خلف الشبابيك.. ملثمون يقفون في مفارق الطرقات والأزقة وفي الأسواق يتصيدون ضحاياهم من العراقيين الأبرياء، سُنَّة وشيعة لا فرق.. يموتون يومياً وتتقاذفهم مدارج مشرحة بغداد الكبرى.. جثث كثيرة غير مكتوب عليها سوى أسماء عراقيين أبرياء، جثث لأطفال قتلتهم السيارات المفخخة والأحزمة الناسفة والعبوات المزروعة في شوارع بغداد.

كثيرة هي الجثث.. لا أدري إن كانت لطفل سُني أم شيعي أم كردي أم مسيحي أم صابئي أم تركماني...

جثث الأطفال أبرياء.. ساكنة لا تتحرك تبدو نائمة تحلم باللعب وعناق الآباء.

جثث مرمية على قارعة الطرقات، بعضها خطف أصحابها من أجل حفنة من الدولارات، لا فرق.. إنهم عراقيون..

لا يميز الموت بينهم.. إن كانوا سُنَّة أو شيعة هم كثيرون.. فمن يمنح بغداد الراحة والأمان ويعيد للأطفال البسمة من جديد، ويعمر بيوتها وأفراحها وليالي ألف ليلة وليلة؟

من يعيد الأمان لطيور النورس التي كانت تتراقص على شواطىء دجلة والفرات؟

من يعيد الحياة للموتى الذين غدر بهم الإرهاب؟

من يعيد الضحكة لطفل مات بقذيفة هاون سقطت على سطح داره؟

من يعيد الضحكة لطفل مات بصاروخ كاتيوشا سقطت على مدرسته؟

من يعيد الحياة لبغداد؟

العنف يسرق حياة الأطفال الثمينة وحقوقهم الإنسانية.. العنف يخلف آثاراً سلبية في نفوسهم البريئة.. ومخاوف عميقة تعيق تطورهم الإنساني بالشكل الأمثل..

أيها الناس.. أيها العالم المدافع عن حقوق الطفولة... أينما كنتم: إن الوضع الراهن في العراق يحرم الطفل من حرية التفكير ويكرس حرمانه من حقه كإنسان ومن حقه في اللقاء مع أقرانه وسط مناخ آمن لا تهدده مخاطر المدافع والانفجارات.

أطفالنا.. باتوا فزعين قلقين خائفين مذعورين.. آباؤهم يُختطفون ويقتلون على أيدي جبناء ملثمين، أحباؤهم يسقطون ضحايا الإرهاب.. مدارسهم تفجر.. بيوتهم يهاجمها الغرباء.. إنهم يعيشون في عزلة.. فالكثيرون منهم لا يمارسون حياتهم الاعتيادية محرومين حتى من الذهاب إلى مدارسهم.

لقد كرست العزلة افتقادهم لأبسط حقوقهم الإنسانية وأصبحوا خلافاً لكل الأعراف الدولية هدفاً للإرهابيين القتلة ليصبحوا من الضحايا المدنيين الذين يسقطون يومياً على أرض الرافدين.

إن آلية الأوضاع الأمنية المتردية في الشارع العراقي قد أثرت كثيراً على حياة الطفولة اليانعة البريئة وحرمتها من أبسط حقوقها في الحياة.

وفي ظل تداعيات الخوف والقلق والموت التي عمت أرجاء البلاد كان لها انعكاسات سلبية حتى على المفردات اللغوية للأطفال، فقد شاعت ثقافة جديدة بينهم تحكمها كلمات سيئة لم تكن موجودة في قاموس لغة الأطفال المتداولة فيما مضى.

ويمكن ملاحظة ذلك التغيير بسهولة من خلال سماع تلك المفردات الغريبة على ألسنة الصغار سواء في المنزل أو في رياض الأطفال وحتى في المدارس والشوارع، لتصبح تلك المفردات ذات تأثير واضح على أسلوب التعامل اليومي بين الأطفال حيث يشيرون إلى بعضهم البعض بمثل كلمة (العلاس.. ويعني القاتل)، و(الخاطوف.والخاموط.والمفخخ) إلى غيرها من المفردات التي تبعث على القلق من فقدان المفردات الجميلة التي كان الأطفال يتداولونها، إلى جانب تحدث هؤلاء الأطفال في أمور ربما يألفها الكبار كأسعار الدولار والموبايلات، وبالتأكيد أن لجوء الأطفال إلى هذه المفردات في تركيبتهم الشخصية هي حالة جديدة يشبعون بها حاجاتهم أو وسيلة للوصول إلى الإشباع.

وهي حالة منطقية لأن أطفال العراق يعيشون تحت ضغط نفسي كبير، وللعنف والقتل

اليومي مسبباته الخطيرة على حياتهم، حتى صار منحى العنف الذي يخيم على البلاد أساساً في واقع الحياة اليومية للأطفال، لذا تجدهم يسعون إلى شراء لعب الأسلحة النارية أو الطلقات أو الألعاب النارية المدوية التي تحدث دوياً صاخباً كما تحدثه الانفجارات، حتى أخذت تلك الألعاب الخطرة تلقى رواجاً وتحقق أعلى نسبة من المبيعات في العراق.

إن تقليد الأطفال لما يشاهدون أمر طبيعي، خصوصاً وأن مشاهدة العنف والموت باتت أخبارها تغطي مجمل الحياة اليومية مما ترك أثراً على واقع الحياة الاجتماعية لما تخلفه من مآسٍ ودمار.

أطفال العراق... يتلاكمون ويتصارعون ويحتكمون إلى العنف باللكم والكلمات الغريبة وينقسمون فيما بينهم إلى أطراف يقلدون فيها الكبار في فرقتهم، ويطلقون التسميات على ألعابهم: فمنهم الإرهابي ومنهم رجل شرطة وآخرون يمثلون المجاهدين وبالتأكيد فإن هذه التسميات تختلف باختلاف المناطق والانتماءات.

إن ما يشعرنا بالأسف حقاً هو إذكاء روح العنف لدى الأطفال العراقيين وتغير مفردات الطفولة وتغير نمط الألعاب المرحة إلى ألعاب دموية عنيفة.

إن نمو أساليب القتل الوحشي أخذت تترعرع بشكل خطير داخل نفس الطفل العراقي ما يعد ظاهرة مقلقة تحتاج إلى وقفة جادة من قبل كل المسؤولين والمهتمين والآباء.

فأولادنا في خطر كبير، وهذه مؤشرات سلبية خطرة تحتاج إلى أن نتعامل معها بعناية فائقة، وعلينا أن لا ندع أفكار المخربين والقتلة والإرهابيين تؤثّر على أفكار أولادنا ومستقبلهم.. وأن نقوم بدور المتابعة الدائمة ونخصص لهم ولو جزءاً يسيراً من وقتنا لنعلمهم أهمية التعاون والمحبة والسلام ودورها الفاعل في الحياة.. وأنهم الأساس في بناء الوطن ومستقبله في المرحلة القادمة، وأن العصابات مهما تمكنت من الهرب والإفلات فلا بد أن تقع يوماً بيد العدالة لتنال قصاصها العادل.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾(1).

(1) سورة: البقرة، الآية: 86.

أصبح صغار العراق لا يعرفون اللعب واللهو والأفراح... ونسوا مذاق حليب الصباح أو التلذذ بحلوى المساء..

يستيقظون على أصوات التفجيرات وينامون على صخب أصوات الرصاص.

أطفال مساكين.. يقتلون بلا ذنب بسيارات الانتحاريين.

أطفال هم شاهد على الموت والدمار والمآسي والأحزان..

الإرهابيون اجتاحوا بيوتهم الآمنة وزرعوا الخوف والرعب في الأزقة والشوارع يقصفون المساكن والمزارع بصواريخ الكاتيوشا أو قذائف الهاون العشوائية.. فتتهدم داراً هنا أو هناك... ويذبح الأطفال بوحشية السفهاء...

حتى المدارس لم تسلم من اعتداءاتهم الهمجية، وراحوا يزرعون العبوات في طريق المدرسة لقتل الصبية والبنات لتنفجر تلك العبوة أو تلك السيارة المفخخة اللعينة لتقتل زيداً وعمر أو نسرين وسحر وتصيب آخرين بالإعاقة والصدمات.

لقد كانت شوارع بغداد تعج بالأطفال أكثر من أية مدينة في العالم.. كانوا يعبرون عن حياتهم بعفوية وفي عيونهم إشراقة الأمل والبراءة.

تفوح منهم رائحة عطر شجر الليمون والبرتقال، فاغتال الإرهابيون المجرمون أمنياتهم وحرموهم من اللعب والسعادة وأجمل الضحكات، وزرعوا في شوارع بغداد الخوف والرعب بأصوات الانفجارات.

كل يوم شهداء ودماء حتى أصبح الأطفال تعساء يختلفون عن أطفال العالم، ولكنهم أكثر تطلعاً للأمل والحياة.

يبحثون عن السلام والمحبة... يبحثون عن بعضهم البعض ليلعبوا معاً في وطن حر يعيش فيه الجميع حياة كريمة رغم أنف الإرهابيين والمارقين والجاهلين ورجال الفتوى الفاسدين..

ربما يتساءل البعض: لماذا اختار الإرهابيون قتل أطفال العراق؟

ربما ليزداد عدد الأطفال الشهداء..

ربما ليزداد الحزن والألم والقهر في قلوب الآباء.

ربما ليمحوا تاريخ العراق ومستقبله..

ربما ليعيدوا مأساة الحسين في كربلاء..

سحقاً للإرهاب الذي يقتل طفلاً بريئاً بلا ذنب على أرض العراق..

سحقاً للعالم العربي والإسلامي الذي يتفرج على قتل أحباب الله بلا حياء..

سحقاً للعالم الذي نسي أنين الفقراء..

سحقاً لكل المتفرجين.. لكل الصامتين الذين لا تهزهم كل هذه الدماء والأشلاء.

سحقاً لكل من لا يكفّر الإرهاب اللعين والتكفيريين الذين باعوا الدين وذبحوا أطفال العراق بلا رحمة، وينتظرون من الله الجنة، ونسوا أن من يقتل إنساناً مصيره جهنم وبئس المصير، فكيف وهؤلاء المجانين يقتلون المئات والآلاف باسم الجهاد وهم فاسقون مستهترون بحياة الناس الآمنين؟

تعيش العاصمة العراقية بغداد وضعاً أمنياً قلقاً لا ينحصر بطبيعة الحال على حدوث تفجيرات السيارات المفخخة أو العمليات الانتحارية العشوائية التي اعتادها العراقيون، دون أن يعيروها اهتماماً كبيراً لكثرة ما اعتادوا عليه من مشاهد العنف اليومية.

إلا أن الجديد أن تتخلل تلك العمليات الإجرامية عمليات خطف الرهائن ليشكل ذلك تحدياً خطيراً للإنسانية بكل أبعادها في محاولة لإعاقة حياة العراقيين وإعمار البلاد وإرجاع الأوضاع إلى سابق عهده أيام انتهاك الحريات والكرامة. ولم يشكل ذلك الأمر هو الآخر عقبة في طريق استمرارية الحياة ونبضه في الشارع العراقي، لإصرار العراقيين وعزمهم على اجتثاث الإرهاب وكل مظاهر العنف، لبناء عراق ديمقراطي حر جديد مبني على أسس حضارية ومدنية راقية، تختلف تماماً عما تخطط له العصابات المئمة التي تعمل باسم المقاومة.

إن مسلسل خطف الرهائن التي تعتمدها تلك العصابات المنحرفة والجماعات المسلحة الإرهابية التي تنتمي إلى مجاميع من زمر المجانين والحمقى والتي تعمل على خطف العاملين في العراق في شتى المجالات الإنسانية ومن كافة الجنسيات يعد عملاً تخريبياً مرفوضاً، وهي مخالفة صريحة للتعاليم الإسلامية وبعيدة كل البعد عن روح الإسلام الصافية المتسامحة.

إن تلك الممارسات التي تتم تحت تغطية المقاومة العراقية للاحتلال إنما هي بعيدة كل البعد عن القيم الإنسانية النبيلة، وهي ممارسات مقززة ترفضها كل الشرائع والأديان، وإن حوادث الاختطاف التي تقترف بحق الذين جاؤوا إلى العراق إما في مهمات إنسانية أو صحفية هم ليسوا في موقع القرار، والاعتداء عليهم يشكل منعطفاً خطيراً على واقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وفي نفس الوقت تكشف زيف الادعاءات التي ينادي بها هؤلاء المجرمون الإرهابيون، فليس في التاريخ ما هو أبشع من قتل إنسان يمد يد العون والمساعدة لأخيه الإنسان وفق ما أكدت عليه الشرائع السماوية، وحادثة قطع رأس الرهينة كين بيغلي وأحد المقاولين المصريين والصحفي الإيطالي وغيرهم من ضيوف الشعب العراقي وتصويرها تلفزيونياً ونشرها على شبكة الإنترنت جريمة كبرى بحق الشعب العراقي، أولاً لأنهم ضيوف هذا الشعب المعروف بالكرم وحسن الضيافة وحماية الضيف. ومن الخجل والعار أن يقتل ضيف العربي أياً كانت جنسيته، فشيمة العربي وكرامته وعزة نفسه وكبرياؤه وعروبته وإسلامه يدفعه إلى حماية الضيف وإكرامه.

أما هؤلاء المنحرفون من المجاميع الإرهابية المجرمة الذين يقتلون ضيوف الشعب العراقي، فهم غير محسوبين على العرب أو الإسلام ولا على أية ملّة أو دين، لأنهم أتباع الشيطان، وما يقومون به لا يمت بصلة إلى الإنسانية أبداً، بل يسيء إلى جوهر المقاومة العادلة المشروعة.

وهي أيضاً تذكرنا بجرائم خطف الأطفال الصغار في طريقهم إلى المدارس ومساومة أهلهم على دفع الفدية أو قتلهم، وأيضاً تذكرنا بخطف النساء واغتصابهن وقتلهن، وهي بالتأكيد أعمال لا تمت للشهامة والمروءة العربية الأصيلة بصلة، وإنما هي أعمال الساقطين في وحل الرذيلة والمنحرفين الشاذين من أتباع التكفيريين المتطرفين البعيدين كل البعد عن القيم والمبادئ الإسلامية الصحيحة.

إن هذه الظواهر الوحشية تدينها جميع شعوب العالم، لأنها ترتكب وفق ثقافة همجية

وثنية كافرة وممارسة تنم عن انعدام الضمير والشرف، وتشكل انتهاكاً صارخاً لحقوق الإنسان.

ويبدو أن التحالف الجديد ما بين تلك القوى الظلامية الكافرة جاءت وفق رؤيا إجرامية بحتة هدفها تدمير العراق أرضاً وشعباً.

وقد تطابقت أفكارهم المريضة في استغلال قضية خطف الأجانب والعرب من الجنسيات المختلفة، وجميعهم من المدنيين الأبرياء العزل الذين تم استقدامهم للعراق من خلال عقود عمل مع شركات استثمارية تعمل لخدمة العراقيين.

ويعلم العراقيون بأن المجتمع الدولي قد قدم منحاً كبيرة في مؤتمر مدريد على شكل مساعدات وقروض تقدر بـ(33) مليار دولار لإعادة إعمار العراق وبناء البنى التحتية، إضافة إلى إسقاط ديون النظام البائد، وهي بحد ذاتها خطوة إيجابية كبيرة، الهدف منها إعمار العراق وتحقيق مكاسب اقتصادية تساهم في تحسين المستوى المعاشي للفرد العراقي، ونقل التكنولوجيا الغربية المتطورة واستثمارها في تحسين عمل كافة المؤسسات الخدمية.

ومحاولة النهوض بالقدرات العلمية العراقية من جديد وتحفيز الكفاءات العراقية على الإبداع من خلال الدورات والمؤتمرات والأنشطة المشتركة.

وكثيراً ما يتساءل العراقيون: أين تلك المنح؟

وأين تلك الشركات التي وعدت بإعمار العراق؟

وأين تلك الكفاءات التي من شأنها مساعدة العراقيين في تحسين عمل المؤسسات الخدمية؟

إن استمرار عمليات الخطف والقتل قد تركت أثراً سلبياً سيئاً على واقع الاقتصاد العراقي، إضافة إلى أنها ستصبغ العراقيين بالإرهاب لو استمرت على نفس المنوال، مما يدفع ذلك العمل اللاإنساني واللامسؤول إلى هروب المستثمرين والعاملين على تقديم الخدمات الإنسانية للشعب العراقي، إضافة إلى أن هذا العمل يساعد على زيادة فاتورات شركات التأمين مما ينعكس ذلك سلبياً على الاقتصاد العراقي مستقبلاً عندما تقوم تلك

الشركات بتنفيذ المشاريع الاقتصادية المتفق على إنشائها، حيث ستعمل على زيادة كلفة العقود للشركات المتضررة من عمليات خطف الرهائن وتخريب مواقع العمل. وهذا يعني الاستقطاع من خبز الإنسان العراقي الذي ظلمته جميع الظروف ولم يستفد يوماً من ثرواته النفطية التي كانت ولا تزال تذهب هباءً بلا فائدة مرجوة.

إن عملية خطف الرهائن جريمة نكراء لن تجلب للعراق وشعبه سوى الدمار والرفض والانتقاد الدولي، وتأخير تقدمه وتواصله الحضاري مع الدول المتقدمة.

إن العراقيين قد قرروا أن يكونوا أسياد أنفسهم بلا وصاية من دول الجوار التي ساهمت بشكل أو بآخر على تدمير الاقتصاد العراقي.

obeikandl.com

• القتل المجاني في شوارع بغداد

لا زال المسلحون يجولون في شوارع العاصمة العراقية بغداد، بحثاً عن رهينة يقتادونها طلباً للفدية لقاء إطلاق سراحها، أو حتى إطلاق عيارات نارية غادرة على من يرونه أستاذاً أو طبيباً أو صحفياً أو أي شخص يجدون أن له موقعاً متميزاً في الحياة اليومية.

وفي أحيان أخرى يكون خيارهم الناس البسطاء من العاملين في البناء أو سائقي التاكسي وغيرهم من أبناء هذا الشعب المسكين.

فقد انتشرت في عموم البلاد ظاهرة القتل المجاني إلى الدرجة التي أصبحت تثير الهلع والهواجس المخيفة لدى العراقيين، حتى فضل الكثير منهم البحث عن ملاذ آمن له ولعائلته من خلال الهجرة إلى دول الجوار.

وفي تطور جديد لتفاقم الوضع الأمني، أخذت ظاهرة القتل المجاني تطال مدرسي الثانويات والابتدائية وطلبة الجامعات، ولم يسلم من حوادث القتل والخطف حتى الممرضين والأطباء والموظفين الصحيين والمترجمين والإعلاميين كافة، حيث أصبحوا جميعاً هدفاً دائماً لمهاترات وطيش وفوضوية وعبث وإجرام المسلحين الذين أخذوا لا يستثنون أحداً من قاعدة القتل، سواء برشقات رصاص الكلاشنكوف أو الذبح بالسكين ليحولوا أجواء بغداد الجميلة إلى جحيم لا يطاق.

إن المشكلة الكبيرة التي يعاني منها المواطنون في العراق ليس عبر تفشي ظاهرة القتل المجاني فقط، وإن نالت قسطاً كبيراً من تفكيرهم، بل لعجزهم أمام اتخاذ التدابير اللازمة بحق هؤلاء المجرمون من جهة، وانعدام الثقة بالشرطة من جهة أخرى، نظراً لأن القتلة أخذوا يرتدون نفس زي الشرطة ويستعملون نفس عجلاتهم.

فبات العراقيون يعيشون اليوم وكأنهم في ثكنات عسكرية تحدد عليهم الإقامة في بيوتهم في تمام الساعة الثالثة أو الرابعة إلى حد أقصى.

obeikandl.com

وأصبحت غالبية المنتزهات والمطاعم خالية من روادها لعدم الشعور بالاطمئنان جراء الوضع الأمني المتفاقم نتيجة الهجمات العشوائية التي يقوم بها هؤلاء الإرهابيون على الناس الآمنين.

وفضل الكثيرون البقاء في المنازل وغلق الأبواب بأقفال كبيرة خشية من المجهول.. فالعراقيون الذين فضلوا البقاء في وطنهم من المؤمنين بالقضاء والقدر وأن المكتوب على الإنسان هو أمر لا بد منه لأن الله أوجبه بمقتضى إرادته.. وإذا جاز أمر الموت فهو أمر لا مفر منه، حتى أخذوا يؤمنون بأن الخوف في بغداد يمثل هو الآخر شكلاً من أشكال الموت، ولكنهم فضلوا البقاء صامتين وتحدوا بإيمانهم الشر والخوف، وبقوا في مواجهة المسلحين وامتثلوا لقول الله تعالى في محكم كتابه للمؤمنين الصابرين وهو يبشرهم بالفرج والفوز العظيم:

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[1].

(1) سورة: التوبة، الآية: 51.

obeikandl.com

استهداف الأطباء والأساتذة والعلماء

وفي خضم التداعيات الأمنية التي يمر بها العراق في الفترة الحالية، فإن البلاد تشهد بين الحين والآخر تصاعد وتيرة الأعمال الإجرامية البعيدة عن تاريخ هذا الشعب الطيب، ومنها أيضاً ظاهرة استهداف العقول العراقية المميزة لتأخذ هذه الظاهرة منحىً خطيراً وأخذت تهدد المجتمع وتثير الهلع لدى الكثير من العوائل العراقية.

فقد كشفت الإحصاءات عن ارتفاع معدل عمليات الاعتداء والخطف التي يتعرض لها الأطباء والأساتذة والعلماء العراقيين، حيث وصل عدد الأطباء الذين قتلوا نتيجة تلك الممارسات الإجرامية إلى (61) طبيباً وجرح (130) آخرين نتيجة تعرضهم لحوادث إطلاق نار.. فضلاً عن خطف (350) طبيباً وأستاذاً جامعياً وهجرة (3000) آلاف طبيب نتيجة تعرضهم المباشر لتلك الاعتداءات الآثمة.

إن تفاقم الأوضاع في العراق من قلة الخدمات وانقطاع التيار الكهربائي كانت هي الأخرى عاملاً في هجرة عدد آخر من الأطباء إلى الدول المجاورة.

فقد أدرك الإرهابيون أن استهدافهم لتلك الشريحة المهمة من المجتمع العراقي سوف يهدد بخسارة عقوله العلمية والطبية التي تعتمد عليها في المساهمة بعملية بناء وتطور العراق، إضافة إلى أن إجبارهم على ترك البلاد والهجرة إلى الخارج، عندئذٍ يتركون فراغاً يسهم في تدمير العراق، لذا يجب تكاتف الجميع من خلال تدخل الخيّرين في الجهات الرسمية وغير الرسمية لحماية هذه الثروة الوطنية المهمة.

فتلك العقول إنما نمت وترعرعت على أرض العراق لتسهم في بناء وإعمار الوطن وتعتبر جزءاً مهماً من ثروات العراق الغنية والحيوية.

ونأسف كثيراً أن نشهد هجرة أفضل العقول العلمية العراقية إلى خارج البلاد، حتى باتت أغلب المستشفيات والمراكز الطبية تعاني من سوء تقديم الخدمات الطبية فضلاً عن النقص الحاد في الكفاءات لذوي الاختصاص المهني في المجالات الطبية الدقيقة كأمراض القلب والدماغ.

obeikandl.com

وفي نفس الوقت صمم الكثيرون من الأطباء والعلماء على البقاء في العراق، ولم ترهبهم تهديدات الإرهابيين وظلوا صامدين يمارسون مهنتهم الإنسانية النبيلة في معالجة البسطاء والفقراء، يؤدون واجبهم الإنساني والوطني ليثبتوا من خلال ذلك الموقف الشجاع حقيقة هويتهم العراقية الأصيلة، إلى جانب العقول العلمية الأخرى التي لم ترتأ هي الأخرى ترك البلاد... وتحدت عصابات الخطف والقتل، ليتكاتف الخيّرين في عمل دؤوب بالانشغال في خدمة الشعب العراقي المظلوم، وهي أسمى معاني الإنسانية النبيلة، لأنهم ظلوا صامدين مع إخوانهم من ذوي الاختصاصات والمهن الأخرى، ولم يهربوا أو يهجروا البلاد، وتجاوزوا الخوف بالتوكل على الله ﷻ رغم استمرار المسلسل اليومي في إراقة الدماء العراقية بجرائم قتل غادرة باتت تطال المدنيين الأبرياء، الذين يمثلون شرائح مهمة في المجتمع العراقي، تحت ذرائع العمالة والجاسوسية، إلى جانب الحجج الواهية الكاذبة لغرض فرض إرادتهم على تلك الشريحة. إلا أن الكثيرين أدركوا حقيقة هذه الهجمة الشرسة فتحملوا وزر البلاء ولم تضعف إرادتهم وصبروا من أجل العراق، ولم يتخاذلوا أو يوهنوا في تقديم خدماتهم للمواطنين متحدين الإرهاب، مؤمنين بأن الوطن الذي رباهم على القيم والأخلاق الفاضلة يستحق أعظم التضحيات، وأن عراقيتهم أثمن من كنوز العالم كلها.

فنصرهم الله بصبرهم وشجاعتم وتحديهم للكفرة الضالين، قال تعالى:

﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾[1].

فأثبت هؤلاء العراقيون الشرفاء موقفاً ثابتاً وإيماناً راسخاً على رفض تقديم المصلحة الدنيوية على الواجبات الإنسانية والوطنية، ليدرجوا في قائمة المجاهدين الحقيقيين من الذين لم يبيعوا الوطن ولم يرضخوا لتهديدات المجرمين من العصابات التكفيرية التي لم يبقَ لها سوى الجحور والمخابىء المظلمة هنا وهناك، ليندحروا إلى الأبد خاسئين مغلوبين على أرض الرافدين، ويحق فيهم قول الله تعالى:

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[2] صدق الله العظيم.

(1) سورة: الصافات، الآية: 116.

(2) سورة: آل عمران، الآية: 12.

• قتل الصحفيين والإعلاميين والأدباء

لم تخلُ الساحة العراقية من مشاهد قتل وخطف الصحفيين الذين كان يطلق على مهنتهم (الصحافة) أيام النظام السابق (مهنة المتاعب)، على الرغم من أن الصحفيين كانوا يلقبون باسم السلطة الرابعة.

واستمر الخلل كما كان في الماضي، لتشهد مهنة الصحافة اليوم أسلوباً قد لا يختلف كثيراً عما كان يواجهه الصحفيون في السابق لتصبح أكثر خطورة، حيث يتعرض من يمتهن هذه المهنة الصعبة لخيارات التهديد والوعيد والاختطاف والقتل والتصفيات الجسدية تحت ذريعة الإخلال بالعملية السياسية أو الإرهاب، وإلى غيرها من المسميات الجديدة التي تبرر سفك دماء الشرفاء من الصحفيين العراقيين والأجانب الذين جاؤوا لخدمة الشعب العراقي، ليعبروا عن حقيقة معاناته وآلامه، ولجمع التأييد والمؤازرة من الأسرة الدولية، وإبداء العون والمساعدة بما يمكن تقديمه للعراقيين في ظل هذه المرحلة. والسبب الحقيقي الذي يكمن وراء تلك العمليات الإرهابية التي يقوم بها مجرمون مجهولون هو كون الصحفي ينقل الحقيقة بالصورة والصوت والقلم إلى العالم أجمع، ويكشف الأقنعة التي يتستر وراءها المشبوهون، ويعلن عن موقفه الشجاع بالوقوف على منبر الحق دون المزايدة على حب الوطن، وهذا حق مشروع لأنه ليس تاجراً أو سمساراً للعقارات، بل رجل حقيقة يعلن عن موقفه بلا تزبين أو مزايدة، لينقل تلك الحقيقة التي غالباً ما يراها الإرهابيون أو الانتهازيون والمنافقون والمتصارعون على غنائم السياسة والمتاجرون بأرواح الأبرياء من أبناء شعبنا المظلوم تجاوزاً للخطوط الحمر، وهذا بالتأكيد لا يعجب أولئك الرافضين للحقيقة التي تكشف بؤس حالهم وعمق إجرامهم وتفاهة أفكارهم ودناءة تطلعاتهم المريضة، ليصبح الصحفي هدفاً سهلاً لتلك الجماعة أو ذلك الحزب أو ذلك التنظيم أو تلك الفئة، ليقع الصحفيون شهداء لكلمة

الحق والمبدأ والغيرة على الوطن الجريح، حتى بلغ عدد الشهداء الصحفيين في العام الماضي ما يقارب (138) شهيداً، وأعلن الإرهابيون حرباً ضد أصحاب مهنة الشرف والواقفين وراء الحقيقة التي يراها المجرمون فعلاً مشيناً، خوفاً من الفضيحة والحساب جراء أعمالهم القذرة وتجاوزاتهم الخطرة على حقوق الإنسان في هذه البلاد التي يحاولون جعلها رهينة بأيديهم الوسخة الملطخة بدماء الأبرياء من أبناء شعب العراق.

ومنذ الشهرين السابقين سقط سبع شهداء من الأسرة الصحفية، وليس هناك من هو قادر على حمايتهم أو يأمر بإيقاف هذا التجاوز الخطير الذي يعد تجاوزاً حقيقياً على الإنسانية جمعاء.

إن استخدام الوسائل البشعة بحق الصحفيين سواء كانوا عراقيين أو عرب أو أجانب من خطف وقتل وتمثيل بالجثث، وكأنه انتقام لغضب وثأر قديم بأقصى درجات الوحشية والهمجية، حتى بات العالم كله يستهجن ويندد بتلك الأعمال اللاإنسانية، التي يرتكبها أوباش هذا العصر المستهينون بحياة أصحاب هذه المهنة الإنسانية، الراقية العظيمة المعبرة عن معاناة وآلام وأحداث الناس والشارع. هكذا وببساطة يصبح الصحفي المستهدف الأول من قبل الجماعات الإرهابية، وبكل برود يُذبح كالشاة بسكين المجرمين اعتقاداً أن تلك السكين قادرة على قطع اللسان المعبر عن الحقيقة.. وأن بقتل الصحفيين يستطيعون الاختباء وراء أقنعتهم السوداء، وأنهم من خلال التمثيل بالجثث وحرقها قادرون على بث الرعب في قلوب الشرفاء من أبناء شعبنا، لكنهم مخطئون لأن الحق لا يمكن قتله بالسكين ولا يمكن اغتياله بشتى أنواع الأسلحة، مهما كانت يد الإرهاب طويلة، لأن الثقافة والفكر الإنساني المتمدن أقوى بكثير من رصاصات الغدر الجبانة ووشاية المنافقين والانتهازيين والأصوليين، الذين يحاولون قتل الحرف والكلمة والصورة الصادقة التي تميز الحق عن الباطل، وتكشف المتاجرين بأرواح الأبرياء، وتفضح مآرب المنافقين ومخططات المتآمرين على تدمير العراق وولائم الساسة الذين يجلسون حول طاولة الموت باسم الحرية ليتاجروا بأرواح الناس.. إلى جانب الإرهابيين السفاحين الذين يدنسون أرضنا باسم الجهاد والمقاومة، هؤلاء جميعاً يمثلون جانب الجهل والتخلف في أقصى

درجاته ويعبرون عن ضمائر ميتة وأفكار عفنة وأياد وسخة وعقول متحجرة، لا يملكون رصيداً من قوة الحوار السلمي، بل يملكون كل ما تشمئز منه الإنسانية، فالقذارة قد غمرتهم إلى الدرجة التي لا يمكن لأنوفنا أن تشم رائحتهم العفنة، ومكانهم المناسب هو حاويات القمامة التي هي المكان الأنسب لكل من لا يملك ضميراً إنسانياً وفكراً حضارياً ورصيداً من المحبة والسلام، لأنهم أعداء الحق والحقيقة والجمال والكلمة الطيبة والحرية وحقوق الإنسان والديمقراطية وكل ما له صلة بالإنسانية الشريفة النابعة من الأصالة والحضارة والقيم النبيلة.

قال تعالى في محكم كتابه العزيز:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [1].

إن للإعلام دوراً مهماً وبارزاً على الساحة العراقية، وهو سلاح خطير من الممكن أن يُستخدم باتجاهين أحدهما مضلل للحقيقة والآخر معلن للحقيقة.

فأما الإعلام المضلل فهو ذلك الإعلام الذي ينمو ويعبر عن إستراتيجيته عند تفشي الفوضى الاجتماعية والسياسية داخل البلاد، بالعمل على تغييب الموضوعية والحيادية والتدخل على إضفاء الصبغة الطائفية والعنصرية في معترك الحياة السياسية، وهو يعبر عن نفسه بالإعلام الطائفي، والعراق يعيشه اليوم في ظل غياب الاستقلالية في العمل الإعلامي والصحفي. فكما هو الإعلام فالصحافة تعبر عن وجهات نظر الأحزاب والمنظمات والفئات بعيداً عن الممارسة المهنية الصادقة التي تقرب وجهات النظر وترسم الحقائق بموضوعية تامة، إن انقسام الإعلام والصحافة لا يقدم الصورة الواضحة والحقيقية عما يجري في البلاد، خصوصاً وهي محصورة في ظل الفوضى والوضع الأمني المتدهور وغياب الرقابة.

إن الجمهور اليوم هو بأمس الحاجة إلى الكلمة الصادقة التي تعمل على لملمة الجراح ووحدة الصف، هو ما يعبر عنه بصدق الإعلام المعلن للحقيقة بلا مفارقات أو الانحياز لهذا الطرف أو ذاك.

(1) سورة: آل عمران، الآية: 178.

obeikandl.com

فنحن لا نحتاج إلى الشفافية المطلقة أو المهنية الحرفية المحترفة إلى الدرجة التي لا يمكن أن تقع في بعض الأخطاء هنا وهناك، بقدر ما نحتاج إلى أطراف حيادية لا تصب الزيت على النار وتؤجج الفتنة وتثير المشاكل السياسية وتعمل على اضطراب الوضع الأمني، وكأن دورها لا يقل عما يقوم به المتمردون الذين يلوحون بالسلاح ويهددون حياة المواطنين الأبرياء.

وعليه يجب أن لا يكون الإعلام وسيلة من وسائل التهديد والتنديد، لأنها ستصبح في الموقع أو الخندق المضاد للشعب العراقي الذي يطمح بالوصول إلى السلام والاستقرار.

نعم، إن بلادنا تغمرها الكثير من الصحف وهي ظاهرة جيدة، بل هي واحدة من أهم متطلبات الديمقراطية التي نشهدها، ولكن هناك صحف طائفية ووسائل إعلام طائفية تعمل بالتحريض على العنف الذي يعد الخط المضاد أو المعاكس للتطوير السلمي لمسيرة العراق الجديد.

وعلى الرغم من أننا لا نستطيع أن نضع الجميع في سلة واحدة، إلا أنه يمكننا القول أو الإشارة إلى أن هناك صحف وقنوات إعلامية مكشوفة هي التي تعمل على إثارة النعرات الطائفية والعنصرية، بغية تعطيل المسيرة السياسية أو إفشال المشروع السياسي، وبالطبع هناك جهات تجد مصلحة لها في تسيير الطائفية في محاولة لوضع البلاد في أزمة حقيقية.

وفي ظل الظروف الراهنة التي نمر بها من شعورنا بالأسى لما يواجهه شعبنا من تكالب الإرهابيين والقوى الظلامية عليه، نحتاج إلى موقف يؤكد وحدة الصف ويعمل على تهدئة الشارع العراقي، ويدين كل التجاوزات التي قد تقودنا إلى أزمات نحن في غنى عنها، إلى جانب الرفض التام لكل مظاهر العنف والوقوف بحزم وقوة تجاه كل من يعمل في السياق الطائفي، نحن نحتاج اليوم إلى صحفيين وإعلاميين شرفاء يؤمنون بجوهر العمل الصحفي لهم أصوات وأقلام تؤمن بأن الانتماء الوطني أكبر بكثير من المشاريع الاستثمارية أو المصالح الفئوية الضيقة، أو المكابرة والمغالطة وخلط الأوراق بما يخدم مصلحة المتآمرين على وحدة الوطن والشعب الذي يناضل من أجل تعزيز كيانه الحر

بالديمقراطية والعدالة الإنسانية، إلى جانب تعميق الشعور بالحقوق والواجبات التي يسعى إلى تحقيقها من أجل الخلاص من الاستبداد والضياع والحرمان وإعادة المواطنة الحقيقية للإنسان العراقي.

نعم، من الممكن مواجهة شبح الخوف من تهديدات الملثمين والمسلحين المجهولين الذين يستهدفون أصحاب الأقلام الشريفة أو الذين ينادون بوحدة الصف تعبيراً حقيقياً ينم عن الواقع العراقي.. فشعبنا اليوم يحتاج إلى صحف تتكلم بصراحة تنتقد هذا المسؤول أو ذاك أو أية ظاهرة غريبة، وترصد الأخطاء التي من الممكن أن تؤثر سلباً على الواقع الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي...

فقد سئمنا صحف المجاملة والمكابرة والصحف الطائفية والتعصب، وسئمنا معها الأصوات النشزة لذوي الأربطة الأنيقة واللحى المنمقة التي تحاول نشر الغسيل والشتائم وتتقاتل من أجل المغانم والمكتسبات السياسية، وتبحث عن فتات الولائم على الطاولات المستديرة وغير المستديرة، أجل، فهذا النمط وتلك الأشكال التي لا تتحدث عن التفاؤل والأمل والمستقبل المشرق لعراقنا الجديد لا يمكن أن ننظر إليهم على أنهم ساسة المستقبل لأنهم لا يؤمنون بالمصداقية التي تعد من أهم مرتكزات الشخصية السياسية الوطنية الناجحة، وليس غريباً أن تنعكس تشاؤماتهم على وضع البلد وتعكير صفو الحياة اليومية، لأنهم يعبرون عن أجندات لا تعير اهتماماً لمصلحة الوطن والشعب ويتكلمون باسم الشرعية السياسية ويتحدثون إلى الجماهير بلغة لا تعبر عن حقيقة الأزمة العراقية ومأساة هذه الأمة المظلومة، وكأنهم يعيشون في وادٍ والعراقيين في وادٍ آخر، يجب أن نتحسس موقع الألم لنجد العلاج الصحيح والدواء الشافي..

يجب أن نخرج الصحافة من الفوضى ونعمل جاهدين على عدم انغماسها في وحل التمصلح والتمحور حتى لا تفقد معاييرها المهنية الصحيحة، وعلى الصحف أن لا ترمي ثقل الصراعات السياسية على كاهل المواطنين، يجب أن نبعدها عن تصارع السياسيين على السلطة والتحيز والتخندق مع الأحزاب، لتأخذ الصحافة وضعها المناسب بعيداً عن الخوف والانتماءات، فنحن اليوم نعيش زمن الحرية التي نعبر فيها عن آرائنا وأفكارنا بلا

حواجز ونقاط التفتيش أو الخطوط الحمراء أو الإخفاء في بوتقة الحرمان الفكري في جميع الاتجاهات الإنسانية. يجب أن يكون الإعلام مؤثراً على الجماهير حتى يكسب ثقتها واحترامها، كما يجب أن يعبر عن صدق الواقع الذي يعيشه الشعب في ظل المرحلة الراهنة على أقل تقدير دون أي تهميش كي تستعيد الصحافة والإعلام ما بقي من الثقة بينها وبين المواطنين، فالله تعالى يوصي عباده بالتمسك بحبل الله والاحتكام للحق وعدم اتباع خطوات الشيطان، إن الشيطان للمؤمنين عدو مبين، فلنذكر الله كثيراً ونعوذ من شر أنفسنا وشر الكافرين ليرحمنا الله كما جاء في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

(1) سورة المتحنة، الآية: 19.

• أزمة اللاجئين العراقيين

لم يخطر ببال مخططي مشروع حرب العراق ضمن خططهم الكثيرة واحدة من الأمور التي لم تكن في الحسبان، ألا وهي أزمة اللاجئين العراقيين. فمع تفشي الفوضى والعنف الطائفي في العراق، تحول المد بعكس الاتجاه، فبدل أن يعود اللاجئون إلى وطنهم من الدول الأخرى منذ سقوط الرئيس صدام حسين بداية 2003م، إلا أن الذي حدث هو تباطؤ عدد العائدين بل وامتناعهم التام عن العودة، بالمقابل فرار الآلاف من العراقيين إلى خارج البلاد مع أعداد كبيرة أخرى قد تم تهجيرهم أو ترحيلهم داخل العراق. فقد كان الأمر مقتصراً في بداية الحرب على مغادرة الأغنياء من العراقيين، أما الآن وحسب قول (رون ريدموند) المتحدث عن المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة: فإنهم يهربون من منازلهم في حافلات نقل الركاب العمومية أو بأية وسيلة أخرى وبنسبة تبلغ 40,000 إلى 50,000 مغادر سنوياً، ولدى الكثير منهم مصادر محدودة للعيش، ويقال بأن النساء يتحولن إلى الأعمال غير الشريفة، ويتحول الأطفال إلى الأعمال وبأجور زهيدة جداً نتيجة عدم إعطاء تصاريح عمل للرجال، والضغط اللاإنساني والتضييق من قبل دول الجوار التي هاجر إليها معظم العراقيين.

ولقد كانت إدارة بوش متأخرة بالاعتراف بهذه الكارثة غير الظاهرة للعيان، لأن الاعتراف بأزمة اللاجئين يعني وقبل كل شيء تقويض إصرار البيت الأبيض على أن الحرب كانت قراراً صائباً، وبأن العراق في طريقه إلى الاستقرار، إلا أن الوضع أصبح حرجاً جداً ولم يعد بالإمكان غض النظر عنه وتجاهله.

وهذا ما دعا برئيس بعثة الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (أنطونيو بتريوس) إلى توجيه الدعوة إلى المقيم الدولي لمساعدة اللاجئين العراقيين بعد تصاعد أعداد المهاجرين والمهجرين بسبب تصاعد وتائر العنف في «بغداد» والمحافظات الأخرى،

وانعدام ثقافة التسامح والاندماج بين العراقيين. وقد أعدت المفوضية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة إحصائية جديدة أشارت إلى أن أكثر من 50 ألف عراقي يغادر البلاد شهرياً إلى دول الجوار، وأن ما يقارب أكثر من 94 ألف نازح داخل البلاد يجوبون زوايا الوطن أو أحد سرائر الطب العدلي ضمن قوائم الجثث المجهولة الهوية، وإن غالبية الفارين هم الفقراء.

وفي ظل صرخات الاستغاثة التي يطلقها العراقيون يومياً إلى البرلمان العراقي، إلا أن البرلمان لا يرتقي إلى مستوى المسؤولية لانشغالهم بمصالحهم الذاتية ومشاكساتهم داخل قاعة البرلمان، وقد أصبح كل شيء في حياة العراقيين مؤجلاً إلا السيارات المفخخة والأحزمة الناسفة فإنها تأتي سريعة الاستجابة وحامية وحارقة ومبعثرة للأجساد.

وفرق الموت أصبحت منتشرة في أرجاء بغداد تقتل وتغتصب وتختطف وتفعل كل ما تشاء، حتى وصل الاستهتار بالموتى بأن الأهالي باتوا يختطفون عند وصولهم إلى المشرحة لاستلام جثث ذويهم، وجراء ذلك الفعل المشين مئات الجثث أصبحت لا تأخذ من المشرحة بعد أن تركها ذويها خوفاً من الاختطاف والقتل العشوائي لتدفن تلك الجثث في مقابر جماعية بلا هوية.

فلو كان هناك الحد الأدنى من توفير الأمن من العصابات الإجرامية المنظمة والميليشيات التابعة للسياسيين القابعين تحت قبة البرلمان، لما وصل عدد اللاجئين العراقيين في سوريا وحدها إلى أكثر من مليون ونصف المليون لاجىء و000, 15 لاجئ آخر إلى تركيا وأكثر من 750 ألف آخرين في الأردن وأكثر من 500 ألف في مصر، بالإضافة إلى أعداد كبيرة أخرى في اليمن والخليج وإيران وبقية دول العالم الأخرى.

وقد أصبحت الهجرة للعراقيين حق الحياة أو حق البقاء على قيد الحياة، وكما أشرنا فإن الأسباب عديدة، ولكن المهم بينها هي الحرب الطائفية والقومية وفقدان القانون، بالإضافة إلى الدوافع الاقتصادية بعد أن أصبح الشعب جائعاً يعيش تحت درجة الصفر في المستوى المعيشي.

فقد أخذ الإرهاب التكفيري المنظم المصدّر إلى العراق يستهدف كل فئات الشعب العراقي، وهو السبب الأساسي للهجرة، فضلاً عن وجود الأسباب التي أشرنا إليها.

لقد كانت فيما مضى هجرة العراقيين بسبب الحرب العراقية ـ الإيرانية أكثر من مليونين مضافاً إليها الهجرة بسبب الهرب من النظام. أما الهجرة اليوم فقد وصلت إلى أكثر من أربعة ملايين ونصف مليون عراقي في دول الجوار فقط، ناهيك عن أعداد كبيرة أخرى في العديد من دول العالم.

فالوضع في العراق يشكل صورة قاتمة وإن سيطرة محدودة يمكن ممارستها على الأرض بحيث أصبح النزاع معقداً ولا يمكن وضعها إلا بحرب أهلية شرسة، فالعنف مستشر ويزداد يوماً بعد يوم، وهناك تقصير حكومي واضح في الملف الأمني، ومن المثير للسخرية أن يهجر المواطنون ديارهم تحت تهديدات الميليشيات والعصابات الإجرامية فليس سهلاً أن تصل الإحصائيات إلى وجود 1,800 مهجر داخل العراق.

فبعد لجوء أكثر من 75٪ من المسيحيين إلى إقليم كردستان العراق، وجه شيخ طائفة الصابئة المندائيين طلباً شخصياً إلى حكومة إقليم كردستان يطلب فيها الهجرة الجماعية للطائفة للإقامة في كردستان.

إن المشكلة كبيرة جداً، ويجب أن تقوم الحكومة بدراستها جيداً، وأول البديهيات التي يجب أن نتوصل إليها هو كيفية خلق السلم الأهلي في البلاد أولاً، بعد أن أخذت كل فئة من الأطراف السياسية تراهن على الزمن في كي ذراع الطرف الآخر.

فليس من المستحيل أن نصل إلى ما وصلت إليه الديمقراطية الهندية، ويوجد على رأس السلطة فيها رئيس جمهورية مسلم والمسلمون يشكلون 15٪ فقط من نفوس الهند، بل إن رئيس الوزراء فيها من طائفة لا تشكل سوى 3٪ فقط من سكان الهند.

علينا إذاً استعادة الهوية الوطنية ونبذ ظاهرة الكره بين العراقيين، وعلى الجميع أن يفكر بأن الرجوع إلى التاريخ الإسلامي قبل أكثر من 6 أو 5 قرون مضت في مجال حقل الاختلافات السياسية الخاصة بالمعتقدات أمر ليس في صالح العراقيين كلهم على حد سواء.

ويجب على الأطراف السياسية أن تنهض من قوقعتها وتحتكم للعقل، بل حتى أن تخجل مما يمر به العراقيون اليوم تحت صرخات الأمم المتحدة لمساعدة الناجين المهجرين، وتطلب المساعدة العاجلة لهم، وإقناع تلك الدول التي كانت بالأمس بحاجة ماسة لمساعدة العراقيين، واليوم هي نفسها تلك الدول تتعرض بشكل لا إنساني للعراقيين وتسيء معاملتهم في المنافذ الحدودية والمطارات فضلاً عن مضايقات الإقامة.

بغداد التي كانت بالأمس ذراعيها مفتوحة لكل العرب بل للعالم أجمع، يعيش أبناؤها اليوم مهجرين في بلدان العالم، دون أن يراعوا فيهم أقل الواجبات الإنسانية المتعارف عليها، ورغم ذلك فإن بغداد مدينة الكتب والأسواق والسلام التي يكاد الموت اليومي يغيبها هي نفسها.. بغداد تنتظر اليوم الذي تفتح الباب للجميع من جديد رغم شراسة المؤامرات والفتن التي تحاك ضدها.

إن العراقيين الذين يغادرون الوطن وهم يخاطرون بحياتهم وعوائلهم قد قتل الكثير منهم عبر الحدود إلى «سوريا» و«الأردن» نتيجة استهدافهم من قبل العصابات الإجرامية التكفيرية. إلا أن ذلك الإجرام لم يوهن عزيمتهم رغم توقيعهم على أمر موتهم. غادر الكثير منهم للنجاة، ولكنهم يعيشون في وضع صعب ويشعرون بالخوف الشديد من العودة للعراق، بعد معاناتهم الكبيرة في دول الجوار. إن تدفق اللاجئين وازدياد أعدادهم يومياً شكل هاجساً مخيفاً لدول الجوار حيث قامت «الأردن» فعلاً برفض دخول معظم الشباب، كما أوقفت «سوريا» إعطاء العراقيين العلاج الطبي مجاناً وتحديد مدة الإقامة على أراضيها وتقوم «السعودية» ببناء سياج عبر حدودها مع العراق وإن «مصر» منعت دخول العراقيين عبر أراضيها ومنعت حقهم في التعليم الحكومي، وظهور التضييق اليمني وعدم السماح للعراقيين بالدخول إلى أراضيها وعدم منح تصاريح العمل، إلى غيرها من الإجراءات التي زادت من الأزمات النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها اللاجئون العراقيون اليوم.

لقد سببت العمليات الإرهابية التي استهدفت البُنى التحتية للبلاد وموارده خسائر

فادحة كان من المفروض أن تستثمر في إعادة بناء العراق وسد الديون المترتبة عليه جراء سياسات النظام السابق وإغلاق ملفاتها نهائياً.

حيث تجاوزت الخسائر التي سببتها عمليات التخريب للمنشآت النفطية أكثر من ستة مليارات دولار، كان من الممكن استغلالها في بناء وإعمار العراق وتحسين المؤسسات الخدمية وإنهاء البطالة، وتوفير كل المستلزمات التي من شأنها إنعاش آمال المواطنين بحياة هانئة أسوة بدول الجوار. على الرغم من أن العراق أغنى منها بكثير فقد أنعم الله على هذا الشعب بأرض طيبة مباركة مليئة بالخيرات والنعم، ولكنها تفتقر إلى الإستراتيجية الصحيحة لاستغلالها لصالح الشعب.

فغالبية العراقيين ومنذ زمن بعيد يعيشون تحت خط الفقر والعوز والحرمان، وكان لذلك أسبابه العديدة أهمها: تعاقب الحكومات الديكتاتورية عليه والتي أسهمت في هدر ثرواته والعبث بها بما تقتضيه مصالحهم الشخصية ونزواتهم ورغباتهم الدنيوية الطائشة، وللأسف الشديد أدرك الإرهابيون اليوم أن ما يملكه هذا الشعب من ثروات غنية قد تسهم في جعله يعيش باستقرار وأمن وسعادة، لذا أخذوا يستهدفون ثرواته الوطنية بكل شراسة، ومنها استهداف المنشآت النفطية وأنابيب تصديرها إلى جانب تدمير مصادر الطاقة، ليجعلوا هذا الشعب مقيداً بالفقر والجهل، غير قادر على النهوض بواقع مستقبله أسوة بشعوب العالم المتقدمة.. لأن الجهل والفقر هما من أهم الوسائل التي يستطيع الإرهابيون بواسطتها أن يخترقوا بها وطننا ويفرضوا عليه أفكارهم الكافرة الضالة، وليبقوا آمنين في جحورهم المظلمة منطلقين منها للقيام بأعمالهم الإجرامية في استهداف العراقيين الأبرياء ومؤسساتهم الخدمية وثرواتهم الوطنية.. وللأسف الشديد كثيراً ما نرمي باللوم على الحكومة ونحملها المسؤولية ونتهمها جزافاً ونجهل حقيقة أن الإرهابيين المجرمين يعملون بشتى الوسائل والطرق لاستهداف حياتنا اليومية وتدمير اقتصادنا وهدر ثرواتنا، ومحاولة إثارة الفتنة الطائفية بين أبناء الشعب، وجعله يتقاتل على رغيف الخبز ويتصارع على قوته اليومي ويتراكض لاهثاً للحصول على أدنى الأعمال في سبيل إطعام عوائلهم.

حتى أثقلوا كاهل العراقيين بمشاكل تقلق حياتهم اليومية كفقدان الغاز والنفط الأبيض والتيار الكهربائي إلى غيرها من الخدمات المهمة.

﴿...وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1].

إن الحكومة وحدها لا يمكن أن تنجح في ردع هؤلاء السفلة من عصابات الإرهاب والإجرام إلا بتكاتف الشعب معها بالوقوف معاً صفاً واحداً، بمشاركة كل الغيارى من أبناء وطننا لنهزم الإرهابيين ونطردهم خارج حدودنا، عند ذاك نستطيع أن نوفر لقمة العيش الهانئة لعوائلنا ونوفر للجميع كل متطلبات الحياة الآمنة المستقرة.

فالنور الذي ينير دربنا نحو مستقبل مشرق والدفء الذي يلم شمل عوائلنا لا يمكن أن نحققه من خلال الكلمات أو مجرد التعبير عنها بالاستهجان والرفض، بل علينا العمل سوية لبناء وطننا ونساعد حكومتنا التي انتخبناها بتحدينا للإرهابيين عندما وضعنا أرواحنا في صناديق الاقتراع قبل أصواتنا، وبرهنا للعالم أننا جديرون حقاً بما حققناه وأنجزناه بفضل الديمقراطية.

وإن المتمسكين بالحلم الديمقراطي والحرية والاستقرار هم لا زالوا يشكلون صفاً واحداً قادرين على هزيمة الإرهاب ومنع التدهور الذي سببته حماقاتهم وعدوانيتهم لنؤكد من جديد أننا وضعنا النهاية لمناورات أعداء الديمقراطية في بلادنا واحتكمنا لأمر الله، فحق علينا قوله تعالى:

﴿...فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

(1) سورة: الأنفال، الآية: 30.

(1) سورة: التوبة، الآية: 111.

• إنهاء العنف والتطرف السبيل الأمثل لتحقيق الأمن والاستقرار

أكدت جميع الكتب السماوية فرح الخالق بتوبة الإنسان المرتكب للخطيئة، فالبشرية معرضة للخطيئة، وإنما خير الخطاؤون هم التوابون العائدون إلى الله ﷻ، فإن وعد الله حق.

«يكون فرح السماء بخاطىء واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة»[1].

إن التكبر والمعصية قد دمرت علاقتنا بالله كما أفسدت علاقتنا مع بعضنا البعض وحتى مع أنفسنا، لأننا نشعر بأننا مخطئون ولكننا نعاند ونكابر بأنانية.

علينا أن ننبذ العنف الذي يجسده الشيطان في أفكارنا ويرسخه في قلوبنا.. فالله لا يقبل المفاوضة على الإيمان أو المساومة على التوبة أو التردد بالرجوع إليه.

فالرسول محمد ﷺ يطلب منا المحبة والسلام والتعاون والألفة بين جموع المؤمنين، وهو القائل ﷺ: «**إنما المؤمنون إخوة**».

والمسيح عليه السلام يطلب منا أيضاً إقلاعاً مطلقاً عن خطايانا ونعود إلى الخالق بقلب نظيف تغمره المحبة والسلام، لأن الإنسان عندما يملأ قلبه بمحبة الآخرين فإنه لا يستسلم للعنف والكره والاعتداء، فالإيمان في تلك اللحظات تمنع القلوب من القسوة وارتكاب المعاصي.

فعلى الذين غرتهم الدنيا وأغواهم الشيطان أن يرجعوا إلى الله بتوبة صادقة ويتركوا الدرب الذي هم فيه سائرون في قتل إخوانهم المؤمنين..

وكم نحن اليوم بحاجة ماسة إلى «التوبة».. نعم جميعاً بحاجة إلى التوبة والرجوع إلى الله، ومن المحزن أن كلمة التوبة العظيمة قد فقدت من منابرنا ومن أحاديثنا ومن

---

(1) لوقا/15/7.

لقاءاتنا.

فعلى كل الذين تاهوا عن طريق الحق الرجوع إلى أحضان الوطن الذي رباهم وإلى المجتمع الذي هم فيه يعيشون، وأن يُبدوا ندمهم ويتخذوا موقفاً جديداً يظهروا فيه محبتهم للوطن، وقبلها محبتهم لله، والرجوع عن نواياهم السيئة. وليدركوا مهما طال بهم العمر فإنهم مهلكون سواء إن كان موتهم بالعنف أو موتاً طبيعياً فمصيرنا جميعاً الهلاك والوقوف أمام الله. فمن عاد لله تائباً قد يستبقي نعمة الرحمة الإلهية ويخلص نفسه الخائفة من جهنم وعذاب السعير، قال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (1).

فالخلاص هو بالتوبة الصادقة والرجوع عن المعصية والآثام المهلكة، فما من شيء أعظم على الله من استباحة دم مؤمن بريء يقتل بلا ذنب، فكيف بإنسان جاحد لله متحدٍ لأمره وكتابه، يقوم بزرع العبوات الناسفة ليفجرها على العشرات من الأبرياء أو يفجر سيارة مفخخة وسط جموع الناس الآمنين فيقطع أجسادهم بلا ذنب.. إن الله يأمر جميع الناس في كل مكان وزمان أن يتوبوا إليه مخلصين صادقين، فالله بعظمته وبرحمته التي وسعت كل شيء ينادي:

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ (2).

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (3).

توبوا عباد الله وارجعوا بمحبتكم وإيمانكم وأعلنوا الثورة على نفسكم الأمارة بالسوء، والعنوا الشياطين والمجرمين الذين هم في بغيهم سائرون.. فالإقرار بالذنب والخطيئة تعني أكثر من مجرد الأسف والشعور بالحزن نحو ما قمت به. وعلينا أن نسير في درب الصالحين والمؤمنين وأن تكون وجهتنا معهم، وليس في الاتجاه المعاكس: اتجاه الخطيئة والكفر والمجرمين والضلالة، فكل الذين قاموا بأعمال ضد إخوانهم من الناس هم حائرون يشعرون بالحزن ويجدون أنفسهم تائهين، ولو وجدت قلوبهم حلاوة ذكر الله لنهضوا وتركوا ما كانوا إليه سائرين، عندئذٍ قد ينالون مكافأة الله وهي أعظم مكافأة

(1) سورة: الأعراف، الآية: 153.

(2) سورة: الأنفال، الآية: 38.

(3) سورة: التوبة، الآية: 104.

وسوف يتابعون حياتهم الطبيعية.. الحياة الحقيقية البعيدة عن العنف والقتل والدمار والتخريب وإدانة النفس ولومها واحتقارها.

فالتوبة أيها الجاهلون بحقيقة الله.. أيها الذين تقتلون أنفسكم وأنتم لا تشعرون: ارجعوا إلى عقولكم، إلى قلوبكم، إلى إرادتكم، واذرفوا دموع الندم والتوبة، وقفوا وتباكوا أمام الله وتوبوا عن درب الضلالة، ستجدون أنفسكم ترتجفون أمام عظمة الله ورحمته... فلتغمركم العزيمة الأكيدة على ترك الخطيئة، وغيروا مواقفكم وصافحوا إخوانكم من أبناء هذا الشعب المظلوم، وعبروا عن حبكم بدلاً عن الكره والقتل.. اختبروا توبتكم وستجدون أنفسكم في فسحة الإيمان والرحمة والسلام، لا يمكن التحول إلى أن تملكوا الإرادة الصادقة والنظر بالتفاؤل، فعندما تتحرك في داخل أنفسكم تلك الإرادة الحرة الصادقة النبيلة الشريفة ستتجه بكم حتماً نحو فضاء السلام والمحبة، وينجلي من قلوبكم البغض والكره والتكبر والعصيان، وسينكسر الشيطان وتنهزم مكائده، وستكون أيها الإنسان التائب الراجع إلى أحضان الله وحب الوطن والناس سيد نفسك، وستحظى براحة النفس وستعود مطمئناً تمارس حياتك الاجتماعية والمهنية.. ستفرح بك عائلتك.. وستجد حقيقة الابتسامة الصادقة البريئة النظيفة على شفاه أولادك.. حتماً ستفكر أن الحياة أفضل بلا أشرار، بلا قتلة، بلا سفك دماء، وستزداد رغبتك في حب الآخرين، وستخطو خطوات جديدة وحياة جديدة نحو تحقيق السلام مع الله ومع الآخرين، ومع نفسك، عند ذاك ستحيا مطمئن النفس قرير العين، وستنعم بعظمة النعمة التي وهبك الله. وإنها أفضل بكثير من قرارك العسير في السير بدرب الإرهاب وانتهاك حرمات الناس الأبرياء.. نعم.. قليلون هم الذين يرجعون إلى محبة الله، فكن أنت ممن يفوزون بتلك النعمة وأحسن الاختيار ولا تكن ضعيف القلب والإرادة فتخسر كل شيء: حب عائلتك وحب الناس وحب الله، ولا تكن ممن يستحبون الكفر وهم ظالمون لا إيمان لهم ولا هم نادمون.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

(1) سورة: التوبة، الآية: 82.

إن الإنسان الآثم الذي لا يجد لنفسه طريقاً فسحاً إلى الله هو ذلك الإنسان الذي يبتلى بالخطيئة ويجهل عقابها، خصوصاً إن كانت خطيئة مديرة الشرور باتجاه الناس.

عندئذٍ يتلاشى أمامها يقين الإنسان بالإيمان والتقوى، فالمجرمون الذين يسعون إلى قتل الناس الأبرياء يعتقدون أنهم يقومون بأعمال شجاعة ويملكون الجرأة والإقدام دون غيرهم. هؤلاء لا يرون وجه الحقيقة التي تؤكد أنهم غرقى في الفساد والظلم والفجور ويحتاجون إلى قدر هائل من الرحمة الي تتجمع في محبة الله.

فلو استطاع الإنسان أن يترك الأنانية والعنف والبغض والكره والتآمر وطريق الدمار والخراب لأصبح ناضجاً ذا إرادة خيرة تمكنه من الاقتراب إلى طاعة الله وامتلاك الإيمان لإسعاد نفسه، والقرار بالتأكيد عائد إليه، فالاختيار مفتوح أمامنا جميعاً أن نختار السلام والمحبة مع أنفسنا ومع الله، وإذا أدركنا تلك النعمة الفاضلة لاكتشفنا جوهر المشكلة الحقيقية التي نعيشها في هذا العالم المتعصب الذي غالباً ما يرفض سلوك طريق الاستقامة والأمانة.. فيحق فيهم قول الله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1].

يجب أن نتفاخر بمقاومة الضالين.. بمقاومة الأفكار الضالة وبمقاومة الأشرار الذين يزرعون الموت في حياتنا ويسعون إلى تدمير مستقبلنا، لنحصل على الفرصة الحقيقية التي وهبنا الله إياها، لنتبع سبيل الحق، فنحن أمام اختبار الخالق، ولا يجوز لنا أن نلوم الظروف والحياة وما نراه في العالم من فوضى واضطراب، بل أن ننظر إلى أنفسنا على قدرتنا في تجاوز أكاذيب الشيطان والذين يحاولون أن يدمروا حياتنا بأفكارهم العدوانية، فليس من الإنصاف أن نقوم بمساعدة التكفيريين الإرهابيين ونستمر في حلقة الضياع نستمد منه عجزنا وحزننا ولا نفعل شيئاً حيال ما نراه من مآسٍ وقتل وتدمير واستباحة للحرمات.

إن الانحدار في ممر الإرهاب المظلم بوسعه أن يجعلنا نمشي في الشقاء لأنه يقتل الإنسانية في داخل أنفسنا.

(1) سورة: البقرة، الآية: 27.

ونحن نسمع أصواتاً تصرخ طالبة النجدة والأمان والسلام دون أن تهتز ضمائرنا وأحاسيسنا وإيماننا بنصرة المظلومين، فإذا لم ندرك أنفسنا مسرعين فلن نستطيع أن نرجع آدميتنا وسيدركنا اليأس والقنوط، وإذا يئس بني آدم من رحمة الله فإن خذلانه سيصبح عظيماً لأنه سينال لعنة الله التي ستلحقه في الدنيا والآخرة، وسيبعث في يأس عذاب الضمير تأكل أيامه الحسرات والندم لتصبح دماء الأبرياء الذين شارك في سفكها شوكاً تنبت في حلقه تمنعه أكل الخير وشرب الماء، حتى يعود إلى التراب وحتى التراب سترفضه بسبب خطاياه وإجرامه بحق الأبرياء، فالأرض تحمل كل طيب من نبات ونفس وترفض كل رديء وباغٍ ومجرم، كما الجنة التي تستقبل الصالحين والشهداء وتستبعد المثقلة ضمائرهم بجرائم القتل والإرهاب وظلم الآخرين.

إن المجرمين والإرهابيين الذي يسفكون دماء الناس ظلماً وبهتاناً سينهزمون مهما كانت وسائل عدوانهم، وسيفشلون مهما استعانوا بظلمهم وصموا آذانهم عن سماع أصوات الأبرياء.

وإن الأرض التي نعيش عليها مهما كثر فيها المجرمون فسوف يحكمها الصالحون وفق شرائع الله.

والمغرر بهم والمدفوعون نحو ارتكاب الجرائم بحق إخوانهم قد انتهز الشيطان ضعف بصيرتهم واستغل زوغان قلوبهم واستعدادها لتقبل المحرمات، فانتصر عليهم الشيطان بمفاسده، وفي المقابل فإن المواطنين الصالحين الذين يدركون أهمية الوحدة الوطنية ونهج التحاور السلمي وتقبل التعايش السلمي مع الأديان الأخرى ونبذ العنف الطائفي هم الذين يُعمر الله قلوبهم بالإيمان، بينما مخالفيهم يعيشون البغض والخوف ماضين في طريق التصلب والعناد والكفر.

فقد أعمت بصيرتهم حماقة الأحلام والتطلعات المريضة، ولم يدركوا أن مشاريع الضلالة والتآمر مهما حرزت من تقدم سرعان ما ستفشل وتتداعى أمام قوة الشعب المتطلع نحو المستقبل والسلام والوحدة الوطنية، وما قدمه العراقيون اليوم من مكتسبات عظيمة كإقرار الدستور وإنجاز الانتخابات الحرة وبرلمان منتخب خير شاهد على النتيجة الحتمية التي تفرضها إرادة الشعوب الحرة، وما زالت تلك الإرادة تحمل

فعالية عظيمة، والنتائج من حولنا واضحة تؤكد أن هذا الشعب كما كان تاريخه وحضارته وتراثه عظيماً فإن إمكانيته قادرة على سحق نظريات الحمقى من الإرهابيين والمساندين لهم في المضمون، إن هذا الشعب لا يمكن المراهنة على هزيمته أبداً، والذين يدعون أن مأساتنا اليوم ستعكس ظُلمة قاتمة على مستقبلنا القادم هم مخطئون وواهمون، لأن مستقبلنا يولد من مخاض فجر جديد، وإن الشعب الذي تحدى الإرهاب وأفسد مؤامرات الأشرار قادر على أن يجعل من العراق عالماً جميلاً رحباً يتميز بجميع مزايا الحضارة البشرية الراقية، هذا كله يتحقق إذا تكاتفنا وجعلنا المحبة أساساً في تعاملنا، وابتعدنا عن العنف والقتل وأنهينا التمرد، وآمنا بأن الحوار السلمي منبع الحكمة سنضع حداً عندئذٍ للشر، ولن نسمح للإرهابيين باقتحام منطقة الأخيار وسيكون العراق محرم عليهم، أما إذا سلكنا خلاف هذا المضمون وسمحنا للمجرمين أن يعتدوا على شريعة الله وارتكاب الجرائم الأبرياء، وانخدعنا بأقاويل المضللين، وانجرفنا وراء رغباتنا المصلحية وتعدينا على حقوق الآخرين، وسمحنا للأفعال الشريرة أن ترغمنا على ارتكاب جرائم القتل والذبح والتفجيرات العشوائية سنعجز في النهاية عن بلوغ الهدف لتحقيق أمن واستقرار بلادنا، ويفوتنا إدراك النعمة الإلهية، لأننا سمحنا للأنانية والتكبر في نفوسنا فوق محبة الله وتركنا بلدنا الجميل تتحكم فيه شخصيات جُل اهتمامهم مصالحهم الخاصة، إلى جانب فتح المجال أمام الذين لا يحسنون سوى التبجح بأقاويل الجهاد من أجل حقوقهم الخاصة، عندئذٍ سنفتح أمام الأجيال القادمة أبواب الجحيم، وتجرنا الخطيئة إلى تدمير الوطن ونسيان الله، ويحق فينا قول الله تعالى:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[1].

(1) سورة: آل عمران، الآية: 22.

• فرصة الحياة من جديد

أيها الإنسان المثقل بالخطايا.. يا من تعديت على وصايا الله وشرائعه وحسبت أنك في غنى عنه، وأصبحت أسير الشيطان الذي لقنك من خلال أعماله الشريرة أن تخضع لأوامره لتعيش باضطراب وقلق وحياة خالية من الإيمان...

أيها الإنسان.. عليك أن تكفّر عن ذنوبك وتتوب إلى الله بنية صادقة... اترك الإرهاب.. اترك الضلالة والكفر فثمة منفذ واحد وطريق واحد للنجاة، طريق آمن لك ولعائلتك ولمستقبلك.. إنه اختيار واحد غير الطريق الملتوي الحافل بالأخطار والمشاق والدماء والجثث المحترقة الذي كنت تسلكه، ولا زال الشيطان يدفعك للقيام بالمزيد من القتل واستباحة الحرمات.

أيها الإنسان الذي تسعى إلى زرع العبوات الناسفة وتفجير السيارات المفخخة وقتل الأبرياء يمكنك أن تقرر الآن.. طريق السعادة والخلاص من الخوف وتولد من جديد.. فتخلص من شقائك وتبعيتك للمجرمين وكراهيتك لنفسك ونظف يديك من الدماء واحصل على حياة جديدة مليئة بالأمل والإيمان كما يريدك الله إنساناً صالحاً مخلصاً تقياً مؤمناً ترجو رحمته وعفوه.

نعم.. أيها الإنسان المختبىء في الجحور المظلمة والبيوت الخربة: يمكنك الحصول على فرصة الحياة الجديدة.. لتولد من جديد.. فتطوع خيراً إلى الله وكن مع الفئة التي صدقت بتوبتها وقال الله فيهم:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.[1]

إن الإنسان الذي قتلته... أصبح محتسباً عند الله مع الصالحين في جنات النعيم.

فالجثة تبقى جثة ولا يمكن أن تدب فيها الحياة من جديد، ولكن يمكنك أن تنتج موتاً

(1) سورة: البقرة، الآية: 160.

جديداً وجثثاً أخرى، فارفض أن تكون قاتلاً، واحيَ حياة صالحة واخضع لناموس الله لا لناموس الشيطان، وأصلح قلبك بالإيمان وأصلح عقلك بالحكمة ولا تبق أسيراً ذليلاً خاضعاً للضالين المجرمين الكافرين الذين لعنهم الله..

أيها الملثم في شوارع بغداد، تمهل لا تزرع العبوات الناسفة... تذكر أنك تمتلك القدرة في الرجوع إلى الله، فلا تفعل ذلك العمل المشين، فالتفت بالإيمان إلى الله خالقك واجعل قلبك عامراً بالمحبة والسلام واستعِ من الله الذي ينظر إليك، فكيف تتحدى وتقتل المؤمنين؟ وهو القائل:

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1].

أيها الإنسان الذي تسعى إلى تفجير السيارات المفخخة في وسط جموع الناس الأبرياء لا تجعل من نفسك سخرية ولا تستهزئ بروح الله، وانزع من داخلك قلب الحجر، وضع بدله قلباً من لحم ينبض بالمحبة والسلام.

﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[2].

قد يكون الكبرياء هو الذي سيطر على حياتك، قد تكون قوى الشر والضلالة من دفعك إلى ارتكاب الأخطاء.. قد تكون البغضاء والحسد واليأس الذي ملأ قلبك وأفكارك ولكن من الممكن أن يتبدل كل ذلك.. فقط لا تستسلم للإرهابيين القتلة..

لا تسلم نفسك للشيطان وإغوائه..

لا تسلم نفسك للأنانية والتطرف..

وأسرع بالندم والتوبة إلى الله واعترف بخطيئتك..

إن فعلت فقد تبدلت طبيعتك وتبدلت حياتك وولدت من جديد..

وأصبحت في خدمة الله، والله قادر على كل شيء..

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3].

(1) سورة: النساء، الآية: 93.

(2) سورة: النساء، الآية: 107.

(3) سورة: النساء، الآية: 110.

وتذكر أن الدليل على رجوعك إلى الله عزمك على طاعته وحفظ وصاياه والإيمان به، والشعور بأن قلبك أصبح عامراً بالمحبة بعد أن كان عامراً بالكره والغيظ والحقد.. وعقلك أصبح عامراً بالحكمة والموعظة بعد أن كان منغلقاً على الكفر والعدوان..

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[1].

عندئذٍ ستنقذ نفسك من الهلاك، فمن يرحمه الله ويولد من جديد على طاعته لا يمكن أن يخطىء ويصبح رهينة للإرهابيين والتكفيريين الذين لا يؤمنون بالله ولا يملكون اليقين وعن الله معرضين.

(1) سورة المائدة، الآية: 39.

obeikandl.com

• الخاتمة

الكتاب يرسم الأبعاد الرئيسة لمرحلة سياسية مهمة في تاريخ العراق المعاصر، عبّر من خلاله حكام قوات الاحتلال الأمريكي (السفراء الخمسة) في العراق «غارنر» و«بريمر» و«نغرو بونتي» و«زلماي خليل زاده» و«ريان كروكر» عن فنون السياسة الأمريكية التي تفوقوا فيها بجدارة.

فضلاً عن المعايشة الميدانية للمؤلف التي قد أسهمت بنقل الكثير من الحقائق وهو يؤرخ لهذه المرحلة.. ليعد هذا الكتاب مرجعاً مهماً للذين يبحثون تلك الحقائق والمعلومات الرصينة لكل الأحداث التي مرت بها بلاد الرافدين في ظل الاحتلال الأمريكي وما تصدر العملية السياسية من الأزمات المؤججة للطائفية والاغتيالات على الهوية وقتل العلماء والأساتذة والصحفيين والأطباء ورجال الدين والشخصيات المرموقة ومجاميع العمال والباعة المتجولين ورواد المطاعم والأسواق والمتطوعين في الشرطة والجيش وانتشار مظاهر العنف والخطف واحتجاز الرهائن، وظهور فرق الموت في شوارع بغداد التي تتخذ من السيطرات الوهمية نقاط موت للناس الأبرياء، حتى الجامعات أصبحت ساحة لسفك الدم وليس للعلم، تغص بالميليشيات وفرق الموت الطائفية التي عاثت بحرمتها فساداً وإجراماً، وعجزت الحكومة عن حماية الطلبة والأساتذة كما عجزت عن حماية المساجد والأسواق.. ليصبح الشارع العراقي متفشياً بظواهر إجرامية عجيبة وغريبة، حتى حلوى الأطفال تم تفخيخها، فالأطفال فقدوا أمنهم مثلما فقده الكبار.

لقد أخذت الكثير من الأسئلة تشغل بال الناس عن أسباب تفشي ظواهر غريبة في بلادنا بعيدة كل البعد عن واقعنا الاجتماعي: كقطع الرؤوس والتمثيل بجثث القتلى والرغبة العدوانية في القتل التي تشبه همجية العصور القديمة، إضافة إلى تفشي ظاهرة

التطرف الطائفي ورفض التعايش السلمي وتقبل التقارب بين الأديان والعقائد واستباحة الحرمات باستهداف أماكن ودور العبادة.

ولماذا تركنا الجامعات والمؤسسات العلمية يسيطر عليها بعض الطائفيين الجهلة والفوضويين الذين لا يملكون رصيداً من العلم والمعرفة؟

لماذا تركنا مراكز الشرطة التي من أهم واجباتها حماية الناس من خريجي مدارس أبي غريب من محترفي الإجرام؟

لماذا أصبح المجرم المنتمي إلى الميليشيات محترماً أكثر من المواطنين الشرفاء في هذا الوطن؟

لماذا ما زالت الصحافة مكبلة ومسيّسة وغالبية الصحف والمجلات والفضائيات حزبية؟

لماذا ننظر إلى ثرواتنا تسرق ونحن عاجزون عن حمايتها؟ وا أسفاً فإننا نسمع من الفضائيات أن ذلك الحزب أو تلك الفئة تسرق نفط الشعب الذي أممه القائد المظلوم الشهيد «عبد الكريم قاسم» ونحن واهنون عن محاسبة اللصوص؟ لماذا الأرواح تزهق ونحن صامتون غير قادرين على اتخاذ التدابير الرادعة، ولماذا الكثير من الشابات والشبان محتجزون داخل بيوتهم خوفاً من تردي الوضع الأمني فضلاً عن انتشار المشعوذين والمحتالين والمتننين في صناعة الموت؟

فما الأسباب والدوافع الحقيقية وراء هذه الانحرافات والهمجية التي عمت بلادنا وجعلته مركزاً لاستقطاب الإرهابيين التكفيريين؟.

ولماذا فشلنا في أن نجعل من وطننا ملاذاً آمناً لأبنائنا وسمحنا لأفكار الزرقاوي وغيره بالتأثير على عقول بعض الباب للترويج عن فكرة الموت انتحاراً؟

وغيرها من عشرات الأسئلة التي تحتاج إلى أجوبة شافية، ولكن المواطن العراقي أصبح تائهاً لا يعرف الوجهة الحقيقية لمساره في ظل ضياع الحقائق والأزمات والانفلات والعبثية والفتن والفوضى والعنف.

حتى أصبح زاد المواطن اليومي مقتل قريب أو اعتقال صديق أوهجرة.. أو اختطاف.. لينتشر وباء الإرهاب والعنف في كل البلاد من كل شكل ولون.

فقد أثبتت الوقائع والمعلومات التي كشفت عنها التقارير الصحفية العراقية والأجنبية قيام العديد من أجهزة المخابرات الدولية من العبث بأمن العراق، حيث أصدرت مراكز البحوث العالمية أن معظم الأعمال الإجرامية التي طالت الشعب العراقي هي من صنع مخابرات دول الجوار ودول إقليمية أخرى.

إلى جانب غياب الخدمات.. لا كهرباء ولا ماء ولا بنزين.. ومفردات البطاقة التموينية الغائبة، وتفشي البطالة ونزوح العوائل قسراً من ديارهم..

يقابل هذا الجحيم.. نعيم الساكنين في (الجنة الخضراء) حيث لا كهرباء تنقطع ولا مواد تموينية مفقودة وحيث شرب الماء الزلال ولا أزمة رواتب فقد وصلت رواتبهم إلى عشرات... آلاف... ملايين الدولارات، ناهيك عن الفساد الإداري المتفشي في أروقة الوزارات الحكومية، ولم يعد أمام العراقيين خيار إما الموت أو العيش في ظل الخوف والضياع والجوع أو الهجرة إلى البلدان المجاورة...

فقد عجز المسؤولون عن تحقيق أبسط مقومات الحياة الطبيعية للناس لأنهم انشغلوا بمصالحهم بعيداً عن مصلحة الشعب ليبقوا وحدهم المستفيدين مع قوات الاحتلال من خيرات النفط.

لتصبح هتافات الناس صادقة المعنى وهي تنشد (نفطنا للذوات وهذه سُنَّة الحياة).

يجب أن نتخلص من ثقافة السلاطين الذين تركوا لنا تاريخاً مليئاً بالفتن والشبهات ونصحح المفاهيم المغلوطة التي تحتاج إلى رؤية جديدة من خلال إرجاعها إلى نصابها الصحيح، ومنها مفهوم الجهاد الذي شوهه المتطرفون الأصوليون ليعيدوا من خلاله حكومات الإرهاب والتطرف والاستبداد لفرض حكومة طالبان في أفغانستان، مثلما يحاول التكفيريون إعادة هيكلية هذا النظام المتخلف في العراق عن طريق «الزرقاوي» وأعوانه.

يجب أن نرفض كل مظاهر الإرهاب والترويع والقتل وإدانته بقوة وأن لا ندع من على شاكلة زعماء طالبان المتخلفين أن يتحكموا في حياتنا ومستقبلنا.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾[1]

وعلينا أن ننظر صوب المستقبل وأن نلغي النظرة التقديسية لتاريخنا المليء بالفتن والحروب كما أسلفنا، الماضي لا يمكن له أن يعطينا الحلول المناسبة لحياتنا المستقبلية المتحضرة، كما يجب أن نلغي كل الكتب والمناهج التعليمية التي لا زالت تُدرس عن حضارتنا الإسلامية على أنها انهارت بسبب مؤامرات الآخرين، بل يجب قبول التصحيح على أننا فشلنا في بعض مراحل التاريخ بسبب عجزنا ووهننا ورضوخنا للمستبدين والطغاة من ولاة الأمور، فحق علينا وعد الله ﷻ:

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2].

وعلينا أن ندرك سبب تقدم الشعوب علينا لأنها آمنت بأن الإنسان ثروة عظيمة يجب عدم التفريط بها، وأن الحياة نعمة كبيرة وهبها الله لنا، وعلينا أن نجود فيها ونعمل جاهدين لخدمة الإنسانية، وفي نفس الوقت نحقق مرضاة الخالق لأن الحضارة والتقدم لا يمكن تحقيقه من خلال العنف والإرهاب، وإنما من خلال المحبة والسلام والتعاون والتآلف بين الجميع، وهذا هو الدرس الذي يجب أن نفهمه جيداً لكي ننهض من جديد ونمضي مع الشعوب التي سبقتنا لنرسم مستقبلاً زاهراً لنا وللأجيال القادمة، وأن لا ننسى أمر الله القائم فينا بالحق حتى يمدنا بعونه، والله ناصر المتقين وهو القائل ﷻ:

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[3] صدق الله العظيم.

(1) سورة: القصص، الآية: 59.

(2) سورة: غافر، الآية: 20.

(3) سورة: الممتحنة، الآية: 19.

نيسان 2003

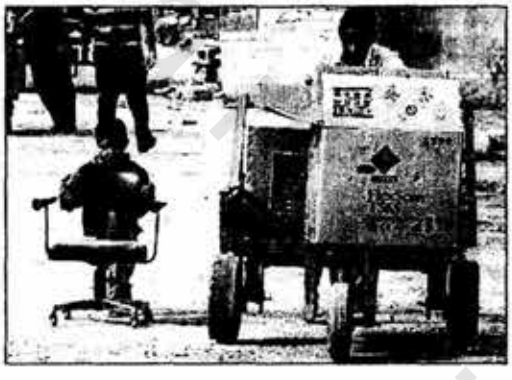

2004

2005

2006

2007

2008

السفر والغربة يفضلها الشباب على البقاء